التصحيح .....و الامتحان!

روزاليوسف: 19-5-75

بقلم : صلاح حافظ

بلغ من ابتهاج صحافتنا بذكرى" ثورة التصحيح" فى 15 مايو ، أنها لم تجد وقتا، و لا مساحة ، تخصصها لذكرى اغتصاب فلسطين التى تقع فى نفس التاريخ

ونحن نفسر هذا بالأهمية البالغة التى تحتلها قضية الديمقراطية فى مصر الآن، بعد أن ثبت أن معظم سلبيات ثورة يوليو- إن لم تكن كلها- كان وراءها غياب الديمقراطية.

لكننا نخشى على ثورة التصحيح ذاتها أن تصاب بنفس ما أصيبت به ثورة يوليو. أى أن تقع فى خصومة مع الديمقراطية حتى وهى ترفع شعارها بإخلاص.

ونحن هنا لا نتجنى ولا نفتعل إخطاراً وهمية ، وإنما ننبه إلى ظاهرة لا يمكن تجاهلها وهى على أعلى الأصوات صراخاً باسم التصحيح ، وركوباً لموجته ، وهى أكثر الأصوات عداء للديمقراطية فى بلادنا !.

يصرخ الواحد منهم : لقد انتهى عهد الإرهاب ، وجاء عصر الحرية .. فيها نذبح الماركسيين !.

فيصرخ الثانى : أنا عندى قوائم بهم ، وعندى تفاصيل (المؤامرة الدولية) التى يعملون لحسابها . وأنا فى الخدمة جاهز وتحت الطلب .

وصرخ الثالث مطالباً باتحاد (المصريين) ضد (الشيوعيين) والرابع مناديا بصمود جميع طبقات الأمة ضد الماركسية الملحدة الوافدة من أعداء البلاد .. إلخ.

وقد يكون كل من هؤلاء مخلصاً مع نفسه ، وصادق الإيمان بما ينادى به لا يتفق مع الديمقراطية فى كثير أو قليل .

فالماركسية إحدى عقائد العصر ، والماركسيون حقيقة فى كل بلد ، ولا يمكن أن يكون ديمقراطياً من يرفض التعامل مع حقيقة سياسية واقعة .. لمجرد أنه يكرهها.

والماركسيون قوة وطنية من قوى التحالف ، أثبتوا وطنيتهم فى كل وطن دعاهم إلى نصرته ، ولا يمكن أن يكون ديمقراطياً من يحرم وطنه من قوة صادقة الوطنية، لمجرد أن مزاجه – أو بالأحرار مصالحة– لا تطبق وجودها!.

وقد أثبت التاريخ أنه ما من مرة بدأت فيها حملة صليبية على الماركسيين إلا وقادت تدريجياً إلى نظام فاشستى يخضع الشعب للإرهاب والجوع ويلغ فى دماء الجميع. وفى البرتغال أيام سالازار ، وفى شيلى بعد اغتيال الليندى .. وحدث فى مصر أيام إسماعيل صدقى ، وأيام إبراهيم عبد الهادى . فكل هؤلاء بداوا بذبح (العملاء الماركسيين) باسم الوطنية، أو " الشيوعيين الملحدين" باسم الدين ، وعندما تم لهم ذلك ذبحوا الوطنية والدين جميعاً ، وحولوا الشعب الكادح المؤمن إلى عبد بدير طاحونة الذهب للأثرياء لا حرمة لماله أو عرضه أو إنسانيته .

على أن هؤلاء جميعاً لم يكونوا يزعمون أنهم ديمقراطيون كان هتلر يقول بصراحة أن الديمقراطية وباء نشره اليهود للقضاء على ألمانيا وكان موسولينى يعلن دون مواربة أنه أما الحرية وأما مجد الوطن .

أما الفاشيون الجدد فى مصر ، فإنهم يلعبون لعبتهم – وهذا هو الشئ الخطر – باسم الديمقراطية !.

ينادون بكل ما نادى به هتلر وموسولينى وسالازار وصدقى وعبد الهادى .. ولكن باسم الحرية !.

ويطالبون بكل ما قاتل ضده ثوار يوليو، ولكن باسم التصحيح، واستمرار الثورة!!

أنهم – باختصار – يحاولون ركوب موجة (مايو) بنفس الطريقة التى سبق أن ركبوا بها موجة (يوليو) ويحاولون باسم الثورتين! تحقيق أهداف معادية للثورتين

وخطرهم يكمن فى أنهم نجحوا فى الماضى، وأصبحت لديهم خبرة تهدد بأن ينجحوا الآن ايضا.

وعندما تحول الاتحاد القومى إلى اتحاد اشتراكى ، تحولوا معه واستخدموه أداة لتنفير الناس من الاتحاد ومن الاشتراكية .

واليوم أصبح دينهم (التصحيح) و(الديمقراطية) ، و(الحرية) و(دولة المؤسسات)، فهل ستتركهم مصر يركبون الموجة هذه المرة أيضاً ، ويجهضونها كما أجهضوا الموجات السابقة ؟

هذا هو السؤال الذى يجب أن يتصدر كل سؤال آخر فى الاحتفال بذكرى 15 مايو فى مصر .

فثورة التصحيح تواجه نفس التحدى الذى سبق أن واجهته ثورة يوليو من قبلها ، وهو باختصار : هل تواصل طريقها أم يستولى عليها خصومها؟ هل تحمى بأصحاب المصلحة فيها ، أم يتولى (حمايتها) أصحاب المصالح المضادة المتنكرين فى غير ثيابهم؟

أن تصحيح مسار ثورة ليس بالمهمة السهلة . ولن تنجز ثورة التصحيح فى مصر أهدافها ما لم تستفد من دروس الثورة الأم : ثورة يوليو ، وفى مقدمة الدروس أن حجر الزاوية، ومفتاح المستقبل لأية ثورة وطنية هو الوحدة التى تشمل الثوريين جميعاً.. بلا شروط يمليها أى طرف ، وبلا تمييز بين مدرسة وأخرى من مدارس الوطنية والاشتراكية ، وبلا تربص من هنا أو هناك.

ولا ديمقراطية وما لم يتوفر هذا الشرط .. ولا تصحيح ولا ثورة.

أن هذا هو امتحان مايو اليوم .

وعلى هذا الامتحان يتوقف مستقبل الثورتين معاً ، فإما واصلت ثورة يوليو زحفها بفضل ثورة التصحيح .. وأما ضاع التصحيح ، وضاع يوليو معه.

www.anwarsadat.org